عناصر هذا الصراع جاء باهتا وضئيلا .

ابتداء من الفصل الخامس وانتهاء بالفصل الثامن ترد عناوين : «في حروب التحرير الشعبية»، «الحرب الشعبية والتعبئة العالمة» ، و«مشكلات قيام جبهة وطنية فلسطينية » ، « فرانتز فانون وفلسفة العنف الثوري » . وهي عناوين لمحاضرات كان قد القاها المؤلف ونشرتها **مجلة « دراسات عربية »** خلال مراحل معينة . المهم ، انه من الصفحة (١٥٣) وحتى الصفحة (٢٤٣) — وهي الصفحات التي حوت الفصول الاربعة الاخيرة — كان يمكن الاستغناء عنها ، وتجنب الصاقها بكتاب « في سوسيولوجية الصراع العربي الاسرائيلي ». اذ ان كل عنوان من هذه الفصول يصلح لان يكون عنوان دراسة شاملة وواسعة تخرج في كتاب مستقبل ، كي تلعب هذه الدراسات — مجتمعة — دورا مساعدا في توفير الاساس امام أي دارس ، أو باحث ، عندما يحلل عناصر الصراع عند الجانب العربي .

والان ، ماذا جاء في فصول الكتاب التي نعتبرها هامة أكثر من غيرها ؟

● الفصل الاول ، تحت عنوان « **في قوانين الصراع** » ، من أفضل الفصول الاربعة ، ومن أكثرها أهمية ، على الرغم من انه « **مقدمة** نظرية » للفصول التي تليه ، وعلى الرغم من نصح المؤلف للقارىء « الذي يضيق ذرعا بالنظريات ان يبدأ بالفصل الثاني ، ثم بعد الانتهاء من الفصول الاخرى يمكنه — **ان اراد** — ان يعود الى قراءة الفصل الاول » . (**من المقدمة ، ص** ٨) . ونحن نرى انه لا يمكن تحقيق الهدف الذي صدر من أجله الكتاب ومن قراءة وفهم الفصل الاول بكامله ، والذي يقدم لنا بايجاز مبسط دراسة نظرية لفهم قوانين الصراع بشكل عام . اذ ان الفصول الثلاثة التي تليه ، وجزءا من الفصل الاول ، ما هي الا التطبيق العملي — الى حد ما — للدراسة النظرية الواردة في الفصل الاول .

ما هي قوانين الصراع التي يتحدث عنها هذا الفصل ؟ بما ان هناك « مستويات عديدة للصراع .. » ، « صراع بين الافراد .. وصراع بين الجماعات داخل المجتمع الواحد .. وصراع بين مجتمع واخر ، او بين مجموعة مجتمعات ومجموعة اخرى .. » ، وبما أن الحديث في الكتاب ينصب على الصراع العربي الاسرائيلي ، فان الفصل الاول اذن ، يركز على « المستوى المجتمعي للصراع ». **(ص ٩)**. واذا كان الصراع بمفهومه الواسع ، هو تصادم الارادات والقوى، بين خصمين (او اكثر) ، بحيث يكون الهدف سيادة احد الخصمين على ارادة الاخر ، فهو يختلف اختلافا **نوعيا** عن مفهوم اخر للصراع وهو مفهوم **المنافسة** . فالهدف من المنافسة ليس « تحطيم الاخرين ، ولكن فقط سبقهم في الوصول الى غاية معينة » . فهذا اذن ، لا ينطبق على حالة الصراع العربي الاسرائيلي. ولكن الصراع قد يكون تصادما « على مستوى القيم واساليب الحياة والايديولوجيات » ، فحلبة الصراع هنا هي « عقول الناس وقلوبهم » . وقد يأخذ الصراع مظهر « التلاطم والتصادم اقتصاديا وتكنولوجيا » ، وهنا تصبح حلبة الصراع « هي الاسواق ومصادر المواد الخام والبيوت المالية » . **(ص ١٠)** . وهذه المظاهر ايضا لا تنطبق على الصراع العربي الاسرائيلي .

اذن كيف يمكن تعريف الصراع العربي الاسرائيلي؟ يقول المؤلف انه الصراع الذي « تحكمه الشمولية ذات الابعاد الحضارية العامة » . وكلمة حضارة (culture) تعني عنا « أساليب الحياة ، والقيم والمعايير ، والتنظيم الاجتماعي ، وفلسفة مؤسساته ، ومستوى المجتمع ماديا ، وتراثه الالي والتكنولوجي » . أي الحضارة هنا تعني كل ما هو موجود في المجتمع من خلق وابداع وانتاج افراد هذا المجتمع .. سواء كان هذا الوجود ماديا او روحيا » . فكل شيء خلقه الانسان ، او انتجه، هو عنصر من العناصر المكونة للحضارة». **(ص ١١)** . اذن ، الصراع العربي الاسرائيلي هو من النوع الشمولي الحضاري العام . فهو ليس اقتتال على قطعة ارض ، ولكنه « تحدي عنصري عرقي ، وتصادم في القيم واساليب الحياة، وخلاف في تفسير التاريخ ، وتباين في ادارة وتنظيم الافراد ، وتلاطم اقتصادي ، وسباق علمي وتكنولوجي .. الخ » . **(ص ١٢)** .

بما ان الصياغات الماركسية — لمنظمة « ماتزبن من ناحية ، ولفصائل يسار المقاومة الفلسطينية من ناحية اخرى — « لا تستطيع في الواقع تقديم شروح كاملة لصراع معقد مثل الصراع العربي